

الإثنوغرافيا والعمل الميداني

ستيف هربرت ، جاكلين غالاجر و غارث مايرز

يرتكز تاريخ علم الجغرافيا على خبرة العمل الميداني . قبل وقت طويل من التحليل الكمي والنظرية النقدية ، استلزم تركيز الجغرافيا على وصف الأرض ، مشاركة مباشرة بين المظاهر الطبيعية والأشخاص الذين يسكنونها . بالطبع ، الكثير من الفهرسة المبكرة للأرض ومواردها وشعوبها كانت باسم الاستعمار ، وبالتالي فهي تاريخ ، أن بعض الجغرافيين ينتقصون بشكل مفهوم بالنسبة للآخرين ، يحمل إرث العمل الميداني مع إحياءات رومانسية وذكورية بشكل مفرط مما وضع المشروع موضع تساؤل (روز ، 1993). لكن العديد من الجغرافيين لديهم مصلحة دائمة في الاستكشاف ، كوسيلة للفهم كيف تتشكل المظاهر الطبيعية وكيف يتفاعل معها البشر . يحتوي تاريخ الجغرافيا الطبيعية والبشرية على شخصيات محورية الذين توقعوا أن يتفاعل الطلاب بشكل مباشر مع المظاهر الطبيعية وأولئك الذين سكنوها . في القرن العشرين ، ظلت العلاقة بين العمل الميداني والجغرافيا قوية .

لكن بحلول الستينيات من القرن الماضي ، بدأت هذه الرابطة تضعف ، ويرجع ذلك في جزء كبير منه إلى ما يسمى بالثورة الكمية . "quantitative revolution" لأن العمل الكمي سعى لاكتشاف القوانين المجردة التي ظاهرياً تتحكم في العمليات الطبيعية والبشرية ، وتحليل سياقات المشاركة في العمل الميداني أصبحت غير شرعية . تحليلات الحالات المفردة ، من هذا المنظور ، تضمنت الكثير من التفاصيل الخاصة للذين أحبطت دراستهم الدافع لاكتشاف الافتراضات التي من شأنها ان تصدق في كل مكان أصبح السياق الجغرافي أقل أهمية من قوانين لا مكان لها .

ومع ذلك ، هناك اقتراحات متزايدة في مجال إعادة تنشيط الحماس للعمل الميداني . هناك منطق بسيط لهذا ، في الاعتراف أن تكون جغرافياً يعني العمل على تعميق وعي الفرد بالمظاهر الطبيعية من حولنا ، القوى - البشرية وغير البشرية - التي تخلق لهم ، القيم التي تسنها من خلال تشكيلها وتفسيرها كما نعمل . من الأشياء الممتعة لكونك عالماً جغرافياً أن تكون قادراً على "القيام" بالجغرافيا في أي مكان وزمان ، في أماكن غريبة ومألوفة . إنه أحد الأسباب التي تجعل الطلاب يختارون دراسة الجغرافيا في الجامعة . يمكن أن تعلمنا المظاهر الطبيعية دائماً ، إذا أخذنا الوقت الكافي للمراقبة وسؤال الأسئلة الصحيحة .

أسئلة ونظريات وتحديات العمل الميداني

باختصار ، فإن الفضول البسيط حول العالم يجبر العديد من الجغرافيين على التوجه إلى الميدان. لكن المظاهر الطبيعية لا تقدم دائماً ألغازها بأي أزياء شفافة . وكمترجمين فوريين للمظاهر الطبيعية ، نحن دائماً نوظف مجموعة من المخططات المعرفية لفهم ما عليه الامر . وبالتالي ، فإن عمليات البحث عن الأماكن وتفسيرها معقدة وتستغرق وقتاً طويلاً . كيف يوجه المرء ما هو فطري الفضول في متابعة وتحليل البيانات التي تمكن المرء من القول شيء ذو مغزى و هام ؟ كيف يقوم الباحث بعمل ميداني بطريقة شاملة ومفهومة ؟ كيف يعرف المرء ما يجب عده مهماً من ثروة البيانات التي تعرض المظاهر الطبيعية ؟ كيف يفسر المرء تلك البيانات ؟ وكيف يستخدم المرء تلك التفسيرات في خدمة سرد تفسيري يفهمه الآخرون الذين لا يعرفون المكان ؟

كما توحى هذه الأسئلة الصعبة ، حتى لو كان العمل الميداني مقنعًا إنها أيضًا تجربة صارمة ومتطلبية وغالبًا ما تكون محبطة . في هذا الفصل ، نأمل أن نوضح سبب العثور على عمل ميداني ممتعة وصعبة على حد سواء . بشكل جماعي ، لقد أمضينا عدة سنوات في هذا المجال ، ومتابعة مجموعة من الأسئلة في مجموعة من الإعدادات . نرسم بناءً على تلك التجارب لشرح دوافع استكشافاتنا و ما واجهنا كتحديات يجب حلها . في حسابات الشخص الأول بعد ذلك ، نتعامل مع بعض التحديات الأكثر مركزية التي يواجهها العاملون الميدانيون . على وجه الخصوص ، نحن مهتمون بمعالجة ثلاثة أسئلة:

(1) كيف يوازن العامل الميداني بين الرغبة في جعل ادعاءات حول المكان مع ضرورة احترام التعقيدات والتألف الذاتي لهذا المكان ؟

(2) كيف يستخدم العامل الميداني الحق في طرق للإجابة عن مثل هذه الأسئلة بشكل شامل ؟ و

(3) كيف يدير المرء العلاقات التي يقيمها حتمًا في الميدان؟

نتناول ستيف هربرت أولها في مناقشة له عن العمل الميداني الإثنوغرافي مع قسم شرطة لوس أنجلوس . لهربرت ، كما هو الحال بالنسبة للباحثين الأكاديميين الآخرين ، تظهر أسئلة بحثية من التعامل مع المسائل النظرية . هذا لسبب أكاديمي يرغب الجغرافيون في التحدث مع الآخرين حول القوى التي تشكل خلق وتقدير المظاهر الطبيعية . لإجراء هذه المحادثات ممكن عبر مجموعة من الأوقات والأماكن ، يجب على المرء أن يستدعي نظريات ذات تفصيل القوى الأوسع التي تبني المظاهر الطبيعية . على سبيل المثال ، يمكن تحليل مدينتين مختلفتين من خلال مرجع مشترك للأنماط الاستيطان النظرية ، أو يمكن تحليل نظامين مختلفين من الأنهار من خلال التدرج بالمفهوم النظري للتوازن . لكن هذه السمة الرئيسية للنظرية- طبيعتها المجردة التي تمكن من المقارنة بين الحالات - هي في الوقت نفسه أخطرها. الانجراف إلى عالم شديد التجريد هو التخلص من تعقيدات المظاهر الطبيعية . وبالتالي ، فإن سعي العامل الميداني لاحتضان الطبيعة متعددة الصفحات للخبرة يضعه في علاقة متوترة مع النظرية . ينجذب العامل الميداني ويصده في نفس الوقت الرغبة في التعميم . لذلك ، بينما يعتمد الجغرافيون على النظرية للمساعدة يحددون الأسئلة التي يجب طرحها ، ويحاولون أيضًا ضمان القدرة لاكتشاف ما قد تخفيه النظرية . وما يتم إخفاؤه في كثير من الأحيان من الناحية النظرية هو تعقيد المجال . يشرح هربرت كيف قادته مراقبته من شرطة لوس أنجلوس إلى فهم القيود الموجودة في النظريات ، وبالتالي دفعه إلى تطوير مخططة النظري الذي أتاح مرونة كافية لفهم الواقع المعقد للشرطة .

كما توضح جاكلين غالاجر ، فإن الأمور النظرية إلى حد ما أقل إرباكًا للجغرافيين الماديين الذين يشاركون في العمل الميداني . تعد الأسئلة المركزية للنظرية محسومة إلى حد كبير ، ويتم رسمها لتطوير فرضيات للمساعدة في شرح ظواهر معينة . لكن هذا لا يعني أن العمل الميداني أسهل في الجغرافيا الطبيعية منه في الجغرافيا البشرية . كما توضح غالاجر بوضوح في مناقشتها لعملها الحالي حول تاريخ بحيرة أوكيشوبي في فلوريدا ، يوضح أن شكلاً معيناً للأرض يتطلب جهودًا على جبهات عديدة . وهكذا فهي باقتدار توضح مركزية التحدي الرئيسي الثاني لدينا : مهمة استخدام العديد من الوسائل لفك شفرة أهمية المظاهر الطبيعية . توضح غالاجر أنها تشبه نفسها بمحقق يحاول حل اللغز كيف تتطلب التأثيرات المتعددة على المظاهر الطبيعية منهجيات متعددة .

يجب متابعة كل سطر من الأدلة على أمل أن يكون متماسكًا ويمكن تطوير سرد السببية . وبالتالي ، فإن تعقيدات تشكيل لاند سكيب تشكل تحديًا كبيرًا لعلماء الجيومورفولوجيا مثل غالاجر : محاولة ربط جميع الخيوط السائبة لبيانات العمل الميداني معًا في حساب تاريخي معقول وقابل للدفاع عنه . هذا صعب بشكل

خاص في العمل الجيومورفولوجي ، لأن جميع العوامل السببية مخفية عن العرض ، ويجب استنتاجها من مجموعة واسعة من البيانات ذات الصلة .

يتناول غارث مايرز التحدي المختلف ، ولكن ليس أقل إقناعاً للتفاوض على العلاقات في الميدان. قاده العمل الميداني لمايرز إلى إفريقيا ، وتحديداً زنجبار ولبونغوي ولوساكا ، حيث يسعى إلى الإجابة عن أسئلة حول سياسات التنمية الحضرية . ولكن كيف يمكن ذلك ، بصفته دخيلاً غربياً ، يفهم كيف يتظاهر بعض الأفارقة بالمظاهر الطبيعية ؟ وهل هناك طريقة لإشراك المخبرين المحليين في بحث غير استغلالي؟ يشرح مايرز كيف أنه على نحو متزايد يعتمد على التعاون البحثي كوسيلة لمعالجة أسئلة مهمة . من خلال العمل مع شركاء البحث المحليين ، مايرز يسعى إلى إثراء فهمه للأماكن التي يدرسها ولتوفير دور فعال لهؤلاء الشركاء . يوضح كيف هو و شركاؤه يتعلمون معاً ، من خلال الاعتماد على خبراتهم الخاصة .

ويوضح أيضاً كيف أن البيانات التي يجمعها لاحقاً تثري بياناته عن فهم التنمية الحضرية ، من خلال توضيح كيف تكون المدن ، ويفهمها أولئك الذين يستخدمونها ، وليس فقط أولئك الذين يخططون لها. توثق حسابات الشخص الأول التي تتبع هذه المعضلات الحرجة التي تظهر من مهمة العامل الميداني لفهم وشرح المواقع التي يزورها . يصف كل منا استراتيجيات التقاط الطبيعة المتعددة الجوانب للواقع الاجتماعي والمادي الذي نتحرى عنه . كخاصتنا تجعل الحسابات واضحة ، والعمل الميداني مثري وصعب . مظاهر طبيعية والعمليات ، البشرية والطبيعية ، التي تشكلها ، لن تكون أبداً بسيطة. يترتب على ذلك فقط أنه لا توجد محاولات لفهمها هذه العمليات .

التقاط تعقيدات السيطرة الإقليمية :

صنع وبمناسبة الفضاء مع قسم شرطة لوس أنجلوس
ستيف هربرت

مثل جميع العاملين الميدانيين في العلوم الإنسانية ، اخترت الدخول إلى هذا المجال حيث لدي فضول قوي تجاه بعض الأشخاص . عندما كنت في كلية الدراسات العليا في لوس أنجلوس في وقت مبكر من التسعينيات ، كان هناك عدد قليل من المؤسسات الاجتماعية التي تجذب اهتماماً أكثر من قسم شرطة لوس أنجلوس . لسنوات ، كانت شرطة لوس أنجلوس متهم بالدوانية المفرطة والتحيز العنصري . عندما ضرب ضابطها بوحشية أميركي من أصل أفريقي يدعى رودني كينغ تم تصويره على شريط فيديو وعرضه على شاشة التلفزيون في 1991 ، أصبحت الإدارة محور نقاش عام مكثف . في وقت لاحق ، تم تبرئة الضباط المتورطين في الضرب من جميع التهم في القضية ، واندلعت المدينة في الاضطرابات المدنية التي تسببت في دمار وخلفت أكثر من 50 قتيلاً . شاهدت قلائل على شاشات التلفزيون لساعات مذعور من عنفها ومضطر أتساءل كيف يمكن لحادث مع الشرطة أن يؤدي إلى مثل هذا الانفجار .

هذا الاهتمام الأكثر عمقاً بالشرطة يتداخل بالنسبة لي مع المزيد من الاهتمام الأكاديمي بمجموعة من الأسئلة النظرية . في ذلك الوقت ، كان هناك ملف ركزت المناقشة عليه ، داخل وخارج مجال علم الجغرافيا ، عن كيفية ارتباط ممارسة السلطة بشكل مهم مع التحكم في المساحة . بعض هذا العمل مستوحى من الفرنسيين المؤرخ ميشيل فوكو ، الذي سعى ، من بين أمور أخرى ، لوصفه كيف اعتمدت الأشكال الحديثة للسلطة على التصنيف والسيطرة على الأرض . كان فوكو مهتماً بتوثيق كيفية غرس السلطة حتى أصغر المساحات (ينظر على سبيل المثال ، فوكو ، 1977). هذا أكثر النهج الجزئي المنحى يتناقض مع الأعمال

الأخرى في مجال الطاقة الاتصال ، الأمر الذي أثار اهتمام عالم الاجتماع الألماني ماكس ويبر في البنية الإقليمية للدولة القومية الحديثة . الدولة من هذا المنظور ، تعتمد بشكل كبير على تأمين الحدود ثم تهدئة السكان داخل تلك الحدود ، من خلال أنشطة مثل إجراء التعداد ، والتجنيد الإجباري ، والشرطة . كان هذا نهجاً أكثر مركزية لإضفاء الطابع المكاني على السلطة ، مركزاً كما كان الحال في المؤسسة الرسمية للدولة القومية .

وبينما كانت هذه النقاشات محفزة للتفكير ، أحببتي طبيعتها المجردة . كانوا يفتقرون إلى البيانات التجريبية الغنية لإثبات الادعاءات النظرية . نظراً للشهرة العامة لشرطة لوس أنجلوس ، قررت التحقيق في اتصال القوة والفضاء من خلال دراسة إثنوغرافية للشرطة . فكرت ما هي أفضل طريقة لمعرفة ما إذا كان وكيف يمكن السيطرة على الفضاء ، الذي يشار إليه أحياناً باسم الإقليمية ، مركزياً لممارسة السلطة . لا توجد طريقة بصيرة أخرى يمكن أن توفر نفس الشيء . قد تكون استطلاعات الضباط مفيدة في المساعدة في فهم العوامل التي شكلت فهمهم لعملهم و الأماكن التي قاموا بدوريات فيها . المقابلات الأقل تنظيماً ستوفر أيضاً بيانات مهمة . لكن الإثنوغرافيا فقط هي التي يمكن أن تقدم مباشرة في الأفق لعمل الشرطة . إنه شيء واحد لفهم نظرة العالم إلى الشرطة - كيف يفهم ضباطها المدينة والشعوب المختلفة التي تسكن أحيائها . إنه أمر آخر تماماً لفهم كيفية تساعد هذه النظرة إلى العالم في شرح أفعال محددة تتخبط فيها الشرطة خلال روتينهم اليومي في الفضاء الحضري .

نتيجة لذلك ، أمضيت عدة أشهر في الركوب مع الضباط في قسم الدوريات المتنوعة والمشغولة بشكل خاص في شرطة لوس أنجلوس . بشكل نموذجي أسبوعاً ، زرت مركز الدورية مرتين أو ثلاث مرات ، وقضيت أربع إلى ست ساعات مرافقة الضباط في فترة عملهم . دائماً مع العدد الهائل من المكالمات التي تم إجراؤها كانوا مسؤولين ، وبالتالي لاحظت الكثير من نشاط الشرطة . كما وفرت إجراءات الشرطة مادة لمحدثاتي مع الضباط . كانوا يرغبون بطبيعة الحال في وصف ما فعلوه و لماذا ، وسأتابع بالأسئلة لتعميق فهمي . تطورت "المقابلات" ببساطة من مجرى أحداث اليوم .

أثار تركيزي النظري اهتماماً بممارسة الشرطة للإقليمية . أصبح واضحاً أنه بدون القدرة على التحكم بالفضاء ، سيكون الضباط عاجزين إلى حد كبير عن فرض القانون أو الحفاظ عليه . كما كتبت (هربرت ، 1997: 11): عادة ما يضع الضباط النزاعات المحلية والتجارية تحت سيطرة فصل المقاتلين وغالباً عن طريق إقناع طرف واحد على الأقل اترك المشهد . ينهون الحفلات الصاخبة عن طريق إرسال الناس إلى منازلهم . تمشيط أعضاء العصابات بانتظام من زوايا الشوارع ، والشباب دون السن القانونية من الصالونات والبغايا من واجهات الموتيلات الرخيصة والمشردين من الطرق التجارية . علاوة على ذلك ، واحدة من أقوى وسائلهم في ممارسة السيطرة هي السجن ، وهو عمل إقليمي شديد الخطورة - المشتبه به من مكان وحصرهم في مكان آخر . ببساطة ، كثير من استراتيجيات الشرطة لخلق النظام العام تنطوي على سن الحدود وتقييد الوصول ، تعتمد قوة الشرطة على الجغرافيا السياسية . قال ضابط عن استراتيجياته لمنزل تُباع فيه المخدرات ، "الحليف الأساسي أفعل كل ما بوسعي لحملهم على المضي قدماً."

كان إثبات مركزية الإقليمية في عمل الشرطة أمراً سهلاً إلى حد ما ، مشروع الوصف - لقد أوجزت فقط نطاق ممارسات الضباط البرية . كانت المهمة الأصعب هي شرح تلك الإقليمية . كيف فهمت الشرطة الأماكن التي قاموا بدوريات فيها ، وكيف فهموا تبرير أفعالهم الإقليمية ؟ كيف قامت منظماتهم الاجتماعية ببناء فهمهم للفضاء ، وأفعالهم في الفضاء ؟ هنا ، سعيت إلى الإدلاء بتصريحات عامة حول البنية الاجتماعية للشرطة وكيف تُرجمت إلى ممارسة جغرافية .

لتحقيق ذلك ، اعتمدت على النظرية الحالية ووسعتها. في جوهرها ، كان أسلوبني توجيه مسار نظري متوسط بينهما تركيز على المؤسسات الرسمية والتركيز على طبيعة القوة المنتشرة . كانت هناك طرق واضحة للشرطة تم إملاء السلوك من خلال القواعد القانونية الرسمية واللوائح التنظيمية . على سبيل المثال ، كثيرًا ما شاهدت ضباطاً يحاولون تحديد ما إذا كان يمكن تصنيف نشاط المواطن على أنه مخالفة قانونية . لكن ، الكثير مما فعلته الشرطة كان مدفوعًا بالمعايير والقيم معززة في العالم الثقافي الفرعي الذي بنى الضباط لأنفسهم . و غالبًا ما تتفوق هذه المعايير الثقافية الفرعية على الاعتبارات القانونية ، والأكثر وضوحًا عندما أجرى الضباط عمليات تفتيش للمواطنين الذين كانوا قانونيًا مشكوك فيهم ، بالنظر إلى الضمانات الدستورية الأمريكية ضد عمليات التفتيش بدون "سبب محتمل" . برر الضباط عمليات البحث هذه بالاسم ذات قيمة - الأمان - التي يتم تعزيزها بانتظام داخل ثقافتهم الفرعية . جعلني عمل فوكو حساسًا لهذه الهياكل الأقل رسمية من القوة . لسوء الحظ ، لم يقدم أي أطر تحليلية لشرح لهم . لهذه الأسباب ، وبمساعدة بعض الأعمال النظرية في علم الاجتماع التنظيمي والثقافي ، ابتكرت مخططًا نظريًا قدمت عملية شراء تحليلية كبيرة لشرح الإقليمية للشرطة . لقد حشدت المصطلح والنظام المعياري وعرفته بشكل خاص ، كمجموعة من القواعد والممارسات المنظمة حول قيمة مركزية .

لقد جادلت بأن ستة أوامر من هذا القبيل - القانون ، والرقابة البيروقراطية ، والمغامرة / القوة ، والسلامة ، والكفاءة والأخلاق - شكلت بعمق كيف أن الضباط يفهم ويسعى للسيطرة على المنطقة . الأولين من هذه الأوامر ، القانون والرقابة البيروقراطية ، عززت التأكيد الفيبري على الإملاءات المميتة والمركزية ؛ هذه مساحة محددة ومناسبة إلى حد كبير السلوك المكاني للشرطة . لكن الأربعة الآخرين كانوا أكثر داخلية ، ويعكس قوة الثقافة الفرعية . لقد توصلت إلى هذا الاستنتاج النظري من خلال عملية مطولة التنقل ذهابًا وإيابًا بين الملاحظات الميدانية التي قمت بإنشائها خلال الإثنوغرافيا والعمل النظري الذي شاركت فيه . كان هذا ضروريًا لأن بياناتي الميدانية لم تتطابق بدقة مع أي إطار نظري موجود مسبقًا ؛ كانت تعقيدات الحقائق على الأرض أوسع بكثير من النظريات المجردة التي مسموح استشارتها . وهكذا كانت خبرتي في العمل الميداني فرصة لتجسيد النظريات الموجودة بطريقة توفر قدرًا أكبر من القدرة لفهم عالم العمل الشرطي المعقد .

عالم الجيومورفولوجيا كمخبر: حل لغز البحيرة

أوكيشوبي (جاكلين غالاجر)

بالنسبة لي ، كطبيب جيومورفولوجي مهتم في المقام الأول بتطور المظاهر الطبيعية وإعادة بناء البيئة القديمة ، يعني العمل الميداني أيام طويلة و نشاط بدني قوي مع واحد أو أكثر من "المساعدين" . أيضا عادة يعني التبلل والوحل . هناك قدر كبير من التخطيط المسبق ، والكثير من العمل المخبري بعد ذلك . لا يبدو الكثير من هذا نظريًا لأولئك الذين يقومون بعمل ميداني جغرافي فعلي . في الواقع ، ينكر العديد من الجغرافيين الطبيعيين وجود النظرية في الاختصاص ، لأن مثل هذا القبول يضعهم في مكتب به كتاب ، لا في "الحقل" بالماء والطين والتربة والصخور وما إلى ذلك .

ذكر ثورن أن "السعي وراء المعرفة النظرية ليس نشاطًا مفضلًا بشكل عام في الجيومورفولوجيا . رأى القديم أن "الجغرافيا يتم تعلمها من خلال النعال" من الواضح أيضًا أن وجهة نظر مقبولة على نطاق واسع حول طريقة تبني الجيومورفولوجيا" (1988: 1) . أو ، كما قال كورلي مازحًا ، "في أي وقت أي

شخص يذكر النظرية لعالم الجيومورفولوجيا ، يصل إليه غريزيًا . في الممارسة العملية ، يعمل الجغرافيون الطبيعيون وفقًا لعدد قليل من المهيمين في النظريات ، ثم اختبار الشروط الدقيقة لمصلحتهم الأساسية .
يعد معظم الباحثين أنفسهم علماء - فهم يتبعون مبادئ الفيزياء والكيمياء ، وصياغة فرضيات قابلة للاختبار داخل إطار (أطر) للنظريات أو النماذج المقبولة . لكن كل هذا يبدو للغاية جادة وأكاديمية بطريقة نادرا ما تؤخذ في الحسبان عند القيام بالعمل الميداني . يتطلب العمل الميداني في الجيومورفولوجيا معرفة بعض أو كل ما يلي : التعرية والنقل والترسب في الأنهار ، البيئات الساحلية والإيولية والجليدية ؛ عمليات سفوح التلال وحركة الكتلة . التغير المناخي (بما في ذلك تغير مستوى سطح البحر) . بالنسبة للجزء الأكبر ، تعد هذه العمليات واقعية ، ومنذ ذلك الحين يعمل علماء الجيومورفولوجيا ، مثل الجيولوجيين ، في نموذج التوحيد تحت القول المأثور "الحاضر هو مفتاح الماضي".

وبالتالي ، فإن القيام بالعمل الميداني في الجغرافيا الطبيعية يتطلب بعض الإلمام بالنظريات العامة التي تشرح تكوين المظاهر الطبيعية . هذه النظريات تساعد المرء على تطوير فرضيات مختلفة حول كيفية وجود مظهر طبيعي معين وتم انشائه . ولكن بمجرد دخول هذا المجال ، فإن البحث الفعلي يتضمن تصارعًا مع تعقيدات مكان معين . أفضل تشبيه للعمل في الجيومورفولوجيا الرباعية ، هي قصة بوليسية : يتم منحك "إجابة" وعليك معرفة القصة وراء ذلك . إنه مثل العثور على جثة وتحديد من كان القاتل! أنت لا تعرف حقا على وجه اليقين إذا كنت على صواب لأنه لا يمكنك العودة بالزمن إلى الوراء ولم يكن أحد هناك لإخبارك - فكلما زاد عدد البيانات الداعمة ، كان أفضل تفسير. وبالتالي فهي فكرة جيدة أن يكون لديك عدة أسطر من الأدلة.

أو كما قال رودس وثورن (1996: 50): "من الضروري بناء شبكة من الأدلة ، يوفر كل جزء منها عنصرًا مستقلًا من دعم لتفسير معين بينما على الأقل بعض نفس البيانات بمثابة دليل غير مؤكد للتفسيرات المتنافسة . على سبيل المثال ، القصة البوليسية التي تشغلني حاليًا هي وجود بحيرة أوكيشوبي في جنوب فلوريدا . ثاني أكبر بحيرة مياه عذبة في الولايات المتحدة ، بحيرة أوكيشوبي في الأساس بحر داخلي ، يحتل منخفضًا كان بمثابة سفين خلال موقف سابق عند ارتفاع مستوى سطح البحر بين العصور الجليدية . نحن نعلم بالفعل البحيرة فتية ، حوالي 5000 سنة . هناك القليل من الأدب عن ذلك ومن هنا أسئلتني الكبيرة : لماذا بحيرة أوكيشوبي تشكلت ومتى؟ لسوء الحظ ، لا يمكنني الرد على هذا السؤال الكبير دون معالجة بعض الأسئلة الأصغر والأكثر قابلية للإدارة . أولاً: ماذا كانت الطبيعة الأصلية للبحيرة؟ هل تصرف مثل بحر داخلي ، مع الشواطئ ، والمقاعد المقطوعة ، والانجراف الساحلي؟ ما كان أصل طبيعة البحيرة؟ كم عمر السواحل السابقة في الشمال وشرق البحيرة؟

في الوقت الحالي ، أركز على هذه الشواطئ القديمة ، والتي يمكن رؤيتها على شكل تلال رملية إلى الشرق والشمال من سد حديث . هذه التلال غير مرئية على الخرائط الطبوغرافية لكنها تظهر على صور الأقمار الصناعية . كان من الممكن أن يكونوا تم إنشاؤها بواسطة البشر ، في الأزمنة الحديثة أو ما قبل التاريخ ، أو بواسطة البحيرة السابقة سباجها والتحكم فيها ، أو ربما عن طريق البحر على مستوى عالٍ . يمكن أن تكون قديمة ، أو قد تمثل حدوث فيضان ليس بعيدًا جدًا مصدر قلق محتمل لسكان اليوم . مشكلة واحدة هي أن هناك عدد قليل من السجلات الجيدة للتعديلات على البحيرة ، وكان هناك الكثير تغيرات قبل صناعة السكر ، وفيلق المهندسين بالجيش الأمريكي ، و مناطق إدارة المياه . في بعض المناطق ، يصعب العثور على أي شيء طبيعي!

للوصول إلى نهاية القصة ، فقد عملت على تطوير قواعد البيانات الخاصة بها ، وقد فعلت ذلك من خلال طرق متعددة . بعد القراءة والاستطلاع ، ومع فرق الطلاب ، أخذت عدة نوى متفاوتة العمق من عدد من المواقع . تم تحليل للمحتوى التركيبي والعمر . قمت بمسح التلال للحصول على دقة أبعاد الارتفاع والمنحدر. قمت بزيارة الشاطئ الحديث لجمع عينات ومعرفة ما إذا كانت العمليات الجارية يمكن مقارنتها. تحدثت إلى سكان المنطقة منذ فترة طويلة الذين كانوا يعرفون بحيرة أوكيشوبي من قبل محاطة بسد ، واستفسر عن التيارات والشواطئ والسواحل . زرت الأنهار التي تغذي البحيرة وأخذت عينات منها بحثاً عن محتوى الرمال. لقد قمت برسم سجلات لمرحلة البحيرة بمرور الوقت وربطتها بها ، تم الحصول على بيانات قوة الرياح واتجاهها من جنوب فلوريدا منطقة إدارة المياه . فحصت الصور والخرائط الجوية القديمة ابحت عن الطرق التي يمكن أن تترسب بها التلوثات . و ثم سأكرر كل خطوة من هذه الخطوات حسب الضرورة. مثل المحقق الجيد ، إذن ، أقتررب من مسرح الجريمة في أزياء شاملة ، باستخدام طرق متعددة لفهم الأسباب الرئيسية لتطور بحيرة أوكيشوبي . أعتمد على فهمي النظري الموجود مسبقاً للعمليات الأساسية الحديثة و بحيرات قديمة في نماذج توازن موحدة / ديناميكية . هذه المعرفة النظرية ضرورية لعمل الميداني ، ولكن أي بحيرة معينة ، مثل Okeechobee ، لا يمكن تفسيرها ببساطة من خلال النظرية المجردة . إنه الوجود هو نتيجة لمجموعة معقدة من العمليات ، و المهمة كعامل ميداني هي احتضان وشرح هذا التعقيد . سؤال واحد يقود إلى سؤال آخر لا إجابة واضحة بدونه العديد من طرق البحث .

بالطبع ، ليست كل طرق البحث هذه تتطلب مني في الواقع التواجد في الميدان . أنا مثل جميع العاملين الميدانيين ، طبيعية و الجغرافيا البشرية ، حيث أعتمد على البيانات التي أجمعها من مجموعة مصادر متنوعة . ومع ذلك ، لا يمكن المبالغة في التأكيد على أهمية التواجد في الميدان . جزء من ذلك ، بطبيعة الحال ، هو أن النوى وغيرها المادية لا يمكن استخراج المواد التي أحتاج إلى تحليلها إلا من موقعي الميداني . لكن جزء منه هو الحاجة التي لا مفر منها لرؤية "مسرح الجريمة" .

يجب أن أتفحص المظاهر الطبيعية بأكملها ، وأن أقوم بتقييم كيفية ارتباط مختلف مكونات هذا المشهد ببعضها البعض ، وتصور ما ربما بدا في الماضي . فقط من خلال رؤية المشهد كله ، ورؤية كيف تترابط الأجزاء ، هل يمكنني فهم بناء مكان مثل بحيرة أوكيشوبي ؟ في الوقت الحالي ، أعتقد أن التلال في السؤال ، في الواقع ، الشواطئ الأصلية ، التي تنتجها طاقة الموجة العالية. أحتاج إلى إثبات ذلك بما لا يدع مجالاً للشك ثم اكتشاف أهميتها. للقيام بذلك يتطلب استمرار استخدام أساليب متنوعة ، واستمرار اكتشاف الفرضيات المختلفة . من المحتمل أن أواجه العديد من الطريق المسدودة . سوف أتعرض أيضاً للبلل والطين.

العلاقات كأدوات للفهم:

التخطيط من الألف إلى الياء في إفريقيا

(غارث مايرز)

يجب أن يكون العمل الميداني مشكلة كبيرة بالنسبة لي . عندما أحسب الأيام ، يصبح من الواضح أنني أمضيت أكثر من اثنتين من السنوات العشر الماضية من حياتي "في الميدان" . ما يعنيه بالنسبة لي أن أكون في الميدان هو أن كل الحياة اليومية تصبح وسيلة للتعلم . تجربة مشاركة الحياة مع الناس في زنجبار أو ليلونغوي أو لوساكا يساعدونني في إطلاعنا على فهمي للعمليات الحضرية ومشاريع التخطيط الحضري المختلفة لقد كنت أدرس خلال هذه السنوات من العمل الميداني .

كتب إدوارد سعيد (1983: 216) أن "[لا يوجد] أفضلية خارج حقيقة العلاقات بين الثقافات. . . قد يسمح لأحد الامتياز المعرفي المتمثل في الحكم بطريقة أو بأخرى وتقييمه والتظاهر بأنه خالٍ من المصالح والمشاعر والارتباطات المرهقة ، فالعلاقات مستمرة بأنفسهم . كثيرا ما أعود إلى هذا الاقتباس ، ذكرني أن تصوراتي عن العالم وهويتي بداخله بالانتقال حتما إلى بحثي . لكن ما يراه سعيد على أنه "عائق" يمكن أن يثري الاهتمامات والعواطف والارتباطات . تقاسم العيش مع أصدقاء يتجول بأعين مفتوحة يمكن أن يعلمنا عالم من الأشياء عن الأماكن ، بطريقة عرضية ولكن عميقة . لا شيء ، ببساطة لا شيء ، يمكن أن يحل محل التعلم الذي يحدث بسبب تلك "العلاقات المستمرة نفسها" في سياقات العمل الميداني .

اسمحوا لي أن أقدم مثالا عميقاً عن السبب الذي يجعل العمل الميداني يقدم بعض الأشياء من هذه العلاقات المستمرة التي لا يمكن الاستغناء عنها . زنجبار قلب الطبقة العاملة التاريخي في المدينة هو منطقة الحي المعروفة باسم نجامبو ، حرفيا "الجانب الآخر" . تم بناؤه بشكل وثيق وغير منظم عيون غربية ، نظام من الأزقة الملتوية التي تبدو وكأنها متاهة تحوط الزائرين . سعى المخططون من عشرينيات القرن الماضي فصاعداً إلى إعادة بناء نجامبو لجعلها منظمة ، مع طرق واسعة ، وأضواء الشوارع والمصارف . من خلال العيش فيه ، لقد جئت إلى مثل هذا الحي ومراقبة السلوك المكاني اليومي حيث تفهم أن غالبية النساء المقيمت في Ng'ambo يمشون عبر الأزقة بدلاً من تلك الشوارع الواسعة التي تم إنشاؤها .

يفعلون ذلك لأن الأزقة أكثر برودة وراحة وأقل احتمالا لوضعهم تحت رقابة مجموعات من الشباب الذين يتجمعون انحناءات الشوارع الرئيسية ، وغالباً ما تكون تحت أضواء الشوارع . الإضاءة ، النساء في كثير من الأحيان ، كان أولوية كبرى بالنسبة لهم ، ولكن الإضاءة للأزقة وليس الشوارع . أنا واثق من أنني ، كرجل غربي ، لم يكن بإمكانني تحقيق مكاسب هذا الفهم بدون الصداقات النسائية التي ولدتها خبرتي في العمل الميداني .

غالباً ما يتضمن العمل الميداني ، بالطبع ، أنشطة أكثر تنظيماً إلى جانب ببساطة "الخروج" مع مجموعات من الأشخاص ، مثل الأنشطة المتعمقة المقابلات والاستبيانات من الباب إلى الباب والخرائط الميدانية . بهذا المعنى ، أنا مثل جاكليين غالاجر ، أسافر عبر عدة طرق في البحث عن البيانات ذات الصلة . ولكن لا شيء يمكن أن يحل محل "جلسة" Hangout كوسيلة لقياس العمق الكامل للحياة الاجتماعية في الأماكن التي أزورها ، أقرب إلى مجمع ما تعنيه الأماكن للناس . فضلاً عن ذلك ، يمكنني الارتباط الوثيق بين الإثنوغرافيا ورواية القصص من تقديم فهم - وإن كان جزئياً - لجمهور أوسع بشكل أكثر إبداعاً وأشعر بأن الأمر أكثر جاذبية من عرض تقديمي أكثر علمية "البيانات" أو يمكن "النتائج" .

بعد قلبي هذا ، يبقى سؤال مهم حول كيفية التفاوض العلاقات في عملية هذا النوع من البحث . فعل بعضاً من هؤلاء بمفرده ، لكنني عادةً ما أعمل بالتعاون مع باحثين محليين . وأعتقد بشكل متزايد أنه يجب زيادة هذا التعاون حتى يظهر العمل الميداني من جديد في مركز البحث الجغرافي . بطريقة ما ، أكثر الخبرة لامركزية وبعيدة عن مركزية (الخارجية) الباحث ، كلما كان المشروع أقوى .

وكمثال على ذلك ، اسمحوا لي أن أعود مرة أخرى إلى زنجبار . في عام 1999 لقد أجريت بحثاً حول إدارة الموارد الطبيعية في Chwaka منطقة الخليج على الساحل الشرقي لجزيرة زنجبار ، بالتعاون مع شركاء البحث منذ فترة طويلة ، ماجستير مهاجر وعلي حسن علي . أنا أعرف القليل عن الصيد ، وأقل عن الأسماك ؛ اهتماماتي موجودة في سياسة التخطيط التنموي . نشأ مهاجر في قرية صيد ، وقضى 15 عاماً في الصيد . قرية شواكا أكثر من 99 % مسلم ، وكلاهما مهاجر وعلي مسلم وأنا لست كذلك .

كان صيادو تشواكا أكثر احتمالاً لإجراء محادثة مفيدة مع علي حول طرق الصيد ، أو موائل وسلوكيات الأنواع الخاصة ، مقارنة بي ، نظراً لعدم كفاءتي مع سلة الصيد . من ناحية أخرى ، مزيج من خبرة علي وخبراتي والشوق على الأقل للخروج في القارب ومحاولة سحب السلال اكتسبنا على حد سواء قدراً من الاحترام . وبالمثل ، حضور علي المنتظم خمس مرات في اليوم في المسجد الذي يصلي فيه هؤلاء الصيادون له فهم أقوى بكثير للحياة المجتمعية مما يمكن أن أفعله في أي وقت مضى . معاً ، تعلمت أنا وعلي أشياء لم أكن لأتعلمها أبداً (مايرز ، 2002).

لقد نجوت من برنامج الدكتوراه المرتبط بشدة بالنظرية الاجتماعية ؛ كنت مطلوب لقرائة أحدث الأفكار المؤثرة في الجغرافيا البشرية ، ولا سيما الأعمال من وجهات النظر الماركسية والنسوية وما بعد البنوية. مصدر إلهام مهم ومستمر بالنسبة لي هو مفهوم الهيمنة الثقافية كما طوره الماركسي الإيطالي ، أنطونيو جرامشي . تم نقل هذا المفهوم بشكل مفيد إلى ثقافي الدراسات والجغرافيا الثقافية عبر ريموند ويليامز ، دينيس كوسجروف ، و آخرين . باختصار ، يسير البناء على النحو التالي : مجموعة مهيمنة في مجتمع يحافظ على تلك الهيمنة عن طريق تصنيع موافقة المحكومين من خلال الإقناع التوافقي والاستطراذي المدعوم بالتهديد بالقوة . ومع ذلك ، فإن محاولة الهيمنة الثقافية هذه يتم اختبارها من خلال بدائل من مجموعات غير مهيمنة ، ويتم لعب كل ذلك في المشهد الحضري . لذا ، فإن التحدي الذي أواجهه هو أن أفهم كيف يتم التعبير عن الهيمنة ومقاومتها . أن تتمسك بشدة بمفهوم قد تتركني الهيمنة عالماً في "الألغاز التي تم إنشاؤها نظرياً تعيق التحقيقات التجريبية . بمعنى آخر ، إن المبالغة في التأكيد على الهيمنة قد تقودني إلى تفويت المقاومة . ومن هنا فإن تجربة العمل الميداني تختبر باستمرار تفكير جرامشي . ما زلت متمسكاً بجوهر نظرية الهيمنة كونها تفسير عام لما أجده محيراً . ما أجده عندما أفعل في المجال البحثي أن الأسئلة الأكثر إثارة للاهتمام لم تكن في الحقيقة إحاطة الطرق التي سعت بها المجموعة المهيمنة إلى الإسقاط هيمنتها على المظاهر الطبيعية . بدلاً من ذلك ، أصبحت مشغولاً أسئلة حول كيفية إعادة صياغة غالبية المناطق الحضرية في زنجبار ، في نجامبو المدينة وفقاً لعقيدهم وممارساتهم العرفية ، وضمن سلطتهم المقيدة . بعد أكثر من مائة من المقابلات التي تحدث فيها الناس العاديون ، حتى أثناء ادعائهم أن أحياءهم المجاورة كانت "غير مخططة" ، عن كيف أن البيئة المبنية تعتمد على (السلطة) ، و (العادات) ، و (الإيمان) السكان ، بدأت أفكر في تلك الثلاثية من المصطلحات على أنها ، في الواقع ، النظام الذي حدث من خلاله التخطيط . أصبح الثلاثة ، لإعادة الصياغة ، مفاهيم عملي على المستوى المتوسط مشتقة من الألف إلى الياء . في تفصيلها بشكل أكبر وتفصيلها ، سعيت لاقتراح بديل للمدن الأفريقية النظرية الاجتماعية النظرية الأوروبية (مايرز ، 1994) ، وهو شيء ما زلت أعمل من أجله ، عملي الميداني الحالي .

كتب كليفورد جيرتز (Clifford Geertz 1983: 57) ذات مرة أن العمل الميداني يتطلب منا "نرى أنفسنا من بين الآخرين" ، وأننا نسعى لتحقيق التوازن بين أنفسنا والآخرين ، وكذلك بين نظرياتنا وتجربتنا . في هذا التوازن ، كما يعتقد جيرتز ، سنجد "تفسيراً للطريقة التي يعيش شعب ليس مسجوناً في آفاقه العقلية ، إثنوغرافيا السحر كما كتبه ساحرة ، وليس بشكل منهجي أصم إلى نغمات الوجود ، إثنوغرافيا السحر كما هو مكتوب بواسطة مقياس جغرافي" . أرى أن هذا التوازن ليس فقط هدفاً يستحقه الإنسان في الجغرافيا الميدانية ، ولكن كسبب مقنع لإعادة تأكيد القيمة من الدراسة الميدانية للاختصاص.

خاتمة

لا يعد الجغرافيون الأكاديميون فريديون بأي حال من الأحوال في امتلاك حب المظاهر الطبيعية والرغبة في فهم تلك المظاهر بشكل أفضل . هذا الفضول حول المكان يدفع الكثيرين للسفر والاستكشاف ، والاطلاع على الأطالس . هذا الفضول يفسر حينا للعمل الميداني . تحفزنا على فهم كيفية تشكيل الأماكن والتحكم فيها وتخطيطها لذوي الخبرة . التحدي الرئيسي لدينا كعاملين ميدانيين أكاديميين هو توجيه فضولنا حتى نتمكن من معرفة ما يمكن فهمه و روايات إرشادية حول الأماكن التي ندرس فيها . اتضح أن هذا ليس أمرا بسيطا ، لأن المظاهر الطبيعية والشعوب التي تسكنها ، دائما مبهمة . نادرا ما تتكلم قصص الأماكن التي تهمننا عن نفسها . هدفنا هنا هو توضيح بعض الاستراتيجيات التي نستخدمها لكشف أسرار المكان ، والأساليب التي نستخدمها لطلب الأسئلة والحصول على إجابات تثقيفية .

لقد استمتعنا كثيرا بالتحديات المختلفة التي واجهناها في الميدان ، بدءا من محاولة فهم كيفية قراءة ضباط الشرطة للمظاهر الطبيعية ، لكشف أسرار تشكيل المظاهر الطبيعية ، إلى التعرف على كيفية فهم مختلف أعضاء مجتمع زنجبار لمنطق مدينتهم . لقد مكنتنا هذه التجارب من القيام بالجغرافيا في أغنى طريقة ممكنة . نحن نعمل على رؤية العالم من خلال عيون الآخرين ، أو كما كانت موجودة في الماضي ؛ نحن نرى المظاهر الطبيعية على أنها المنتج من العديد من القوى التي تشكلها. الانغماس في العمل الميداني هو الانغماس في العالم بكل تعقيداته ، مع الاحترام العميق لذلك التعقيد . التحدي التحليلي المتمثل في جعل بعض الإحساس المتواضع هذا التعقيد هو ما يجبرنا على القيام بالجغرافيا . أملنا يمكننا إلهام الآخرين لاتباع مثالنا . إذا لم يكن هناك شيء آخر ، نأمل بث الحياة المستمرة في ما نعدّه التجارة المركزية للجغرافيا : **التزامها الحيوي بالميدان ، وإجبارها على التجربة ، سبر وشرح المساحات التي تحيط بنا.**